كما جعل للنبي محمد ﷺ حوضاً يرده المؤمنون من أمته؛ كذٰلك يجعل لكل نبي حوضاً، حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لٰكن الحوض الأعظم هو حوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* * *

● **الأمر التاسع مما يكون يوم القيامة: الصراط:**

وقد ذكره المؤلف بقوله: «**وَالصِّراطُ مَنْصوبٌ عَلى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الذي بين الجنة والنار**».

* وقد اختلف العلماء في كيفيته:

ـ فمنهم من قال: طريق واسع يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ لأن كلمة الصراط مدلولها اللغوي هو هٰذا؛ ولأن رسول الله ﷺ أخبر بأنه دَحْض ومَزِلة[1]، والدحض والمزلة لا يكونان إلا في طريق واسع، أما الضيق؛ فلا يكون دحضاً ومزلة.

ـ ومن العلماء من قال: بل هو صراط دقيق جدّاً؛ كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم بلاغاً[2]؛ أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف.

* على هٰذا يرد سؤال: وهو: كيف يمكن العبور على طريق كهٰذا؟

---

(١) زواه: البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم (١٨٣).

والجواب: أن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا؛ فالله تعالى على كل شيء قدير، ولا ندري؛ كيف يعبرون؟! هل يجتمعون جميعاً في هٰذا الطريق أو واحداً بعد واحد؟

وهٰذه المسألة لا يكاد الإنسان يجزم بأحد القولين؛ لأن كليهما له وجهة قوية.

* وقوله: «**منصوب على متن جهنم**»؛ يعني: على نفس النار.

* * *

* قوله: «**يمر عليه الناس على قدر أعمالهم: فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدوا عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم**»[(١)].

* قوله: «**يمر الناس**»: المراد بـ «**الناس**» هنا: المؤمنون؛ لأن الكفار قد ذهب بهم إلى النار.

فيمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ولمح البصر أسرع من البرق،

---

(١) لما رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومنهم من يمر كالريح؛ أي: الهواء، ولا شك أن الهواء سريع، لا سيما قبل أن يعرف الناس الطائرات، والهواء المعروف يصل أحياناً إلى مئة وأربعين ميلاً في الساعة، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، وهي دون الفرس الجواد بكثير، ومنهم من يعدو عدواً؛ أي: يسرع، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً؛ أي: يمشي على مقعدته، وكل منهم يريد العبور.

وهٰذا بغير اختيار الإنسان، ولو كان باختياره؛ لكان يحب أن يكون بسرعة، ولٰكن السير على حسب سرعته في قبول الشريعة في هٰذه الدنيا؛ فمن كان سريعاً في قبول ما جاءت به الرسل؛ كان سريعاً في عبور الصراط، ومن كان بطيئاً في ذٰلك؛ كان بطيئاً في عبور الصراط؛ جزاء وفاقاً، والجزاء من جنس العمل.

* وقوله: «**ومنهم من يخطف**»؛ أي: يؤخذ بسرعة، وذٰلك بالكلاليب التي على الجسر؛ تخطف الناس بأعمالهم.

* «**ويلقى في جهنم**»: يفهم منه أن النار التي يلقى فيها العصاة هي النار التي يلقى فيها الكفار، ولٰكنها لا تكون بالعذاب كعذاب الكفار، بل قال بعض العلماء: إنها تكون برداً وسلاماً عليهم كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، ولٰكن الظاهر خلاف ذٰلك، وأنها تكون حارة مؤلمة، لٰكنها ليست كحرارتها بالنسبة للكافرين.

ثم إن أعضاء السجود لا تمسها النار؛ كما ثبت ذٰلك عن

النبي عليه الصلاة والسلام في «الصحيحين»[1]، وهي الجبهة والأنف والكفان والركبتان وأطراف القدمين.

* قوله: **«فمن مر على الصراط؛ دخل الجنة»**؛ أي: لأنه نجا.

* * *

* قوله: **«فإذا عبروا عليه؛ وُقِفوا على قنطرة بين الجنة والنار»**:

**«القنطرة»**: هي الجسر، لٰكنها جسر صغير، والجسر في الأصل ممر على الماء من نهر ونحوه.

واختلف العلماء في هٰذه القنطرة؛ هل هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أو هي جسر مستقل؟!

والصواب في هٰذا أن نقول: الله أعلم، وليس يعنينا شأنها، لٰكن الذي يعنينا أن الناس يوقفون عليها.

* قوله: **«فيقتص لبعضهم من بعض»**: وهٰذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هٰذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هٰذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذٰلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص.

---

(١) رواه: البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهٰذه القنطرة التي بين الجنة والنار؛ لأجل تنقية ما في القلوب، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

* قوله: **«فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا؛ أُذِن لهم في دخول الجنة»**.

هٰكذا رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه(١).

إذا هذبوا مما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ونقوا منها؛ فإنه يؤذن لهم في دخول الجنة؛ فإذا أُذِن لهم في الدخول؛ فلا يجدون الباب مفتوحاً، ولٰكن النبي ﷺ يشفع إلى الله في أن يفتح لهم باب الجنة؛ كما سيأتي في أقسام الشفاعة إن شاء الله.

* * *

● **الأمر العاشر مما يكون يوم القيامة: دخول الجنة:**

وأشار إليه المؤلف بقوله: **«وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ»**.

ودليله ما ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «أنا أول شفيع في الجنة»، وفي لفظ: «أنا أول من يقرع باب الجنة»(٢)، وفي لفظ: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩).

(٢) رواه مسلم (١٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد من قبلك»[1].

وقوله ﷺ: «فأستفتح»؛ أي: أطلب فتح الباب.

* وهٰذا من نعمة الله على محمد ﷺ؛ فإن الشفاعة الأولى التي يشفعها في عرصات القيامة لإزالة الكروب والهموم والغموم، والشفاعة الثانية لنيل الأفراح والسرور؛ فيكون شافعاً للخلق عليه الصلاة والسلام في دفع ما يضرهم وجلب ما ينفعهم.

* ولا دخول إلى الجنة إلا بعد شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن ذٰلك ثبت في السنة كما سبق، وأشار إليه الله عز وجل بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ فإنه لم يقل: حتى إذا جاؤوها؛ فتحت! وفيه إشارة إلى أن هناك شيئاً قبل الفتح، وهو الشفاعة. أما أهل النار؛ فقال فيهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]؛ لأنهم يأتونها مهيأة فتبغتهم؛ نعوذ بالله منها.

* * *

* قوله: **«وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته»**:

هٰذا حق ثابت؛ دليله ما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون

(١) رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة»[١]، وقال ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»[٢].

وهٰذا يشمل كل مواقف القيامة، وانظر: «حادي الأرواح» لابن القيم.

*** تتمة:**

أبواب الجنة لم يذكرها المؤلف، لٰكنها معروفة أنها ثمانية؛ قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ وقال النبي ﷺ فيمن توضأ وأسبغ الوضوء وتشهد: «إلَّا فتحت له أبواب الجنة الثمانية؛ يدخل من أيها شاء»[٣].

وهٰذه الأبواب كانت ثمانية بحسب الأعمال؛ لأن كل باب له عمال؛ فأهل الصلاة ينادون من باب الصلاة، وأهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصيام من باب الريان.

وقد يوفق الله عز وجل بعض الناس لأعمال صالحة شاملة؛ فيدعى من جميع الأبواب؛ كما في «الصحيحين»[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله؛

---

(١) رواه مسلم (٨٥٥).
(٢) رواه: البخاري (٦٦٢٤)، ومسلم (٨٥٥)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم (٢٣٤) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.
(٤) رواه: البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

نـودي مـن أبـواب الجنـة: يـا عبـد اللـه! هٰـذا خيـر. . .» وذكـر الحديث، وفيه: فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؛ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

* فإن قلت: إذا كانت الأبواب بحسب الأعمال؛ لزم أن يدعى كل أحد من كل تلك الأبواب إذا عمل بأعمالها؛ فما هو الجواب؟

فالجواب: أن يقال: يُدْعى من الباب المعين مَن كان يكثر من العمل المخصص له؛ مثلاً: إذا كان هٰذا الرجل كثير الصلاة؛ فيدعى من باب الصلاة، كثير الصيام من باب الريان، وليس كل إنسان تحصل له الكثرة في كل عمل صالح؛ لأنك تجد في نفسك بعض الأعمال أكثر وأنشط من بعض، لٰكن قد يمن الله على بعض الناس، فيكون نشيطاً قويّاً في جميع الأعمال؛ كما سبق في قصة أبي بكر رضي الله عنه.

* * *

● **الأمر الحادي عشر مما يكون يوم القيامة: الشفاعة:**

وقد ذكرها المؤلف بقوله: «**وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات**».

* «**له**»: الضمير يعود للنبي ﷺ.

* والشفاعات: جمع شفاعة، والشفاعة في اللغة: جعل الشيء شفعاً. وفي الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له؛ صرت معه شفعاً تشفعه.

* والشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعة باطلة، وشفاعة صحيحة.

ـ فالشفاعة الباطلة: ما يتعلق به المشركون في أصنامهم؛ حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

لٰكن هٰذه الشفاعة باطلة لا تنفع؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

ـ والشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطاً ثلاثة:

**الأول**: رضى الله عن الشافع.

**الثاني**: رضاه عن المشفوع له، لٰكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم.

**الثالث**: إذنه في الشفاعة.

والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، ولم يقل: عن الشافع، ولا: المشفوع له؛ ليكون أشمل.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً.

* * *

* فللنبي ﷺ ثلاث شفاعات:

١ ـ الشفاعة العظمى.

٢ ـ والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة.

٣ ـ والشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

* * *

* قال المؤلف مبيناً هذه الثلاث: «**أما الشفاعة الأولى؛ فيشفع في أهل الموقف، حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه**».

* قوله: **«حتى يقضى بينهم»**: (حتى) هٰذه تعليلية، وليست غائية؛ لأن شفاعة الرسول ﷺ تنتهي إليه قبل أن يقضى بين الناس؛ فإنه إذا شفع؛ نزل الله عز وجل للقضاء بين عباده وقضى بينهم.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [المنافقون: ٧]؛ فإن قوله: ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾: للتعليل؛ أي: من أجل أن ينفضوا، وليست للغاية؛ لأن المعنى يفسد بذٰلك.

* قوله: **«بعد أن يتراجع الأنبياء؛ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة»**: أي: يردها كل واحد منهم إلى الآخر.

* شرح هٰذه الجملة ما رواه البخاري ومسلم(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون فيم ذٰلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد؛ يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: عليكم بآدم! فيأتونه، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم

---

(١) رواه: البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيته؛ نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى نوح! فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي؛ اذهبوا إلى إبراهيم! فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإني قد كذبت ثلاث كذبات؛ اذهبوا إلى موسى! فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها؛ اذهبوا إلى عيسى! فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيّاً؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، ولم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى محمد! وكلهم يقول كما قال آدم: نفسي نفسي! فيأتون محمداً ﷺ، فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك؛ سل

تعطه، واشفع تشفع . . .» وذكر تمام الحديث.

* والكذبات الثلاث التي ذكرها إبراهيم عليه السلام فُسِّرت بما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات؛ اثنتين منهن في ذات الله: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وذكر قوله عن امرأته سارة: إنها أختي.

وفي «صحيح مسلم» في حديث الشفاعة السابق أن الثالثة قوله في الكوكب ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، ولم يذكر قصة سارة.

لٰكن قال ابن حجر في «الفتح»[1]: «الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة»، وعلل لذٰلك.

وإنما سمى إبراهيم عليه السلام هٰذه كذبات؛ تواضعاً منه؛ لأنها بحسب مراده صدق مطابق للواقع؛ فهي من باب التورية، والله أعلم.

* قوله: «حتى تنتهي إليه»؛ أي: إلى الرسول ﷺ، وسبق في الحديث ما يكون بعد ذٰلك.

وهٰذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبداً إلا للرسول عليه الصلاة والسلام، وهي أعظم الشفاعات؛ لأن فيها إراحة الناس من هٰذا الموقف العظيم والكرب والغم.

---

(1) «فتح الباري» (٦/ ٣٩١).

وهٰؤلاء الرسل الذين ذكروا في حديث الشفاعة كلهم من أولي العزم، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن: في سورة الأحزاب، وفي سورة الشورى.

أما في سورة الأحزاب ؛ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وأما في سورة الشورى؛ فقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣].

**تنبيه:**

قوله: «الأنبياء؛ آدم ونوح...» إلى آخره: جزم المؤلف رحمه الله بأن آدم نبي، وهو كذٰلك؛ لأن الله تعالى أوحى إليه بشرع أمره ونهاه.

وروى ابن حبان في «صحيحه»[(١)]: أن أبا ذر سأل النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: هل كان آدم نبياً؟ قال: «نعم».

فيكون آدم أول الأنبياء الموحى إليهم، وأما أول الرسل؛ فنوح؛ كما هو صريح في حديث الشفاعة وظاهر القرآن في قوله

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٢/ ٧٧).

والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٩٧٨)، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الأوسط» بنحوه.

تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ [الحديد: ٢٦].

* * *

* قوله: «**وأما الشفاعة الثانية؛ فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة**».

* وذٰلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط؛ وقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، وهٰذا القصاص غير القصاص الذي كان في عَرَصات القيامة، بل هو قصاص أخص، يطهر الله فيه القلوب، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن؛ فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا؛ أُذن لهم في دخول الجنة.

ولٰكنهم إذا أتوا إلى الجنة؛ لا يجدونها مفتوحة كما يجد ذٰلك أهل النار؛ فلا تفتح الأبواب، حتى يشفع النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها، فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهاداً فيه من غيره، وإلا؛ فإن المسلم قد يدعى من كل الأبواب.

* وهٰذه الشفاعة يشير إليها القرآن؛ لأن الله قال في أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وهٰذا يدل أن هناك شيئاً بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب.

وهو صريح فيما رواه مسلم[1] عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجنة...» وذكر الحديث، وفيه: «فيأتون محمداً، فيقوم، فيؤذن له...» الحديث.

*** 

* قوله: «**وهاتان الشفاعتان خاصتان له**»؛ يعني: الشفاعة في أهل الموقف أن يقضى بينهم، والشفاعة في دخول الجنة.

* «**خاصتان له**»؛ أي: للنبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولذلك يعتذر عنهما آدم وأولو العزم من الرسل.

***

* وهناك أيضاً شفاعة ثالثة خاصة بالنبي ﷺ، لا تكون لغيره، وهي الشفاعة في عمه أبي طالب.

* وأبو طالب ـ كما في «الصحيحين»[2] وغيرهما ـ مات على الكفر.

* فأعمام الرسول عليه الصلاة والسلام عشرة، أدرك الإسلام

---

(١) رواه مسلم (١٩٥).

(٢) لما رواه البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤)؛ من قصة ابن المسيب عن أبيه، لما حضرت أبا طالب الوفاة... فذكر الحديث... حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: «هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله».

منهم أربعة؛ فبقي اثنان على الكفر وأسلم اثنان:

ـ فالكافران هما:

**أبو لهب**: وقد أساء إلى النبي ﷺ إساءة عظيمة، وأنزل الله تعالى فيه وفي امرأته حمالة الحطب سورة كاملة في ذمهما ووعيدهما.

**والثاني**: **أبو طالب**، وقد أحسن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام إحساناً كبيراً مشهوراً، وكان من حكمة الله عز وجل أن بقي على كفره؛ لأنه لولا كفره؛ ما حصل هٰذا الدفاع عن الرسول عليه الصلاة والسلام، بل كان يؤذى كما يؤذى الرسول عليه الصلاة والسلام، لٰكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه وصار للنبي عليه الصلاة والسلام جانب من الحماية بذٰلك.

ـ واللذان أسلما هما العباس وحمزة، وهو أفضل من العباس، حتى لقبه الرسول عليه الصلاة والسلام أسد الله، وقتل شهيداً في أحد رضي الله عنه وأرضاه، وسماه النبي ﷺ سيد الشهداء[1].

فأبو طالب أذن الله لرسوله ﷺ أن يشفع فيه، مع أنه كافر،

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٥) عن جابر، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٦٨) للطبراني في «الأوسط»، والحديث أورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٧٤).

فيكون هٰذا مخصوصاً من قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ولٰكنها شفاعة لم تخرجه من النار، بل كان في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه؛ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «ولولا أنا؛ لكان في الدرك الأسفل من النار»[(١)]، وليس هٰذا من أجل شخصية أبي طالب، لٰكن من أجل ما حصل من دفاعه عن النبي ﷺ وعن أصحابه.

* * *

*** قوله: «وأما الشفاعة الثالثة؛ فيشفع فيمن استحق النار، وهٰذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها».**

*** قوله: «وأما الشفاعة الثالثة؛ فيشفع فيمن استحق النار»؛** أي: من عصاة المؤمنين.

وهٰذه لها صورتان: يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

ـ أما فيمن دخلها أن يخرج منها؛ فالأحاديث في هٰذا كثيرة جدّاً، بل متواترة.

ـ وأما فيمن استحقها أن لا يدخلها؛ فهٰذه قد تستفاد من دعاء الرسول ﷺ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم؛ فإنه

---

(١) لما رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)؛ عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

من لازم ذٰلك أن لا يدخل النار؛ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «اللهم! اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين. . . » الحديث[1].

* لٰكن هٰذه شفاعة في الدنيا؛ كما في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً؛ إلا شفعهم الله فيه»[2].

* وهٰذه الشفاعة ينكرها من أهل البدع طائفتان؛ المعتزلة والخوارج؛ لأن المعتزلة والخوارج مذهبهما في فاعل الكبيرة أنه مخلد في نار جهنم، فيرون من زنى كمن أشرك بالله؛ لا تنفعه الشفاعة، ولن يأذن الله لأحد بالشفاعة له.

وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث في ذٰلك.

* قوله: «**وهٰذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم**»؛ فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، يعني: أنها ليست خاصة بالنبي ﷺ، بل تكون للنبيين؛ حيث يشفعون في عصاة قومهم، وللصديقين يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين، وكذٰلك تكون لغيرهم من الصالحين، حتى يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه وفيما أشبه ذٰلك.

---

(١) رواه مسلم (٩٢٠)؛ عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم (٩٤٨)؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

* قوله: «**ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته**»:

يعني: أن الله تعالى يخرج من عصاة المؤمنين من شاء بغير شفاعة، وهٰذا من نعمته؛ فإن رحمته سبقت غضبه، فيشفع الأنبياء والصالحون والملائكة وغيرهم، حتى لا يبقى إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج من النار من يخرج بدون شفاعة، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار.

فقد روى الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى يقول: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط؛ قد عادوا حمماً...» الحديث[1].

* * *

● **الأمر الثاني عشر مما يكون يوم القيامة:**

وهو ما ذكره المؤلف بقوله: «**وَيَبْقى في الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَها مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا**».

* الجنة عرضها السماوات والأرض، وهٰذه الجنة التي عرضها السماوات والأرض يدخلها أهلها، ولٰكن لا تمتلىء.

---

(١) رواه: البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد تكفل الله عز وجل للجنة وللنار لكل واحدة ملؤها:

ـ «فالنار لا تزال يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ فلا تمتلىء، فيضع الله عز وجل عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط»[1].

ـ وأما الجنة؛ فينشىء لها أقواماً، فيدخلون الجنة بفضل الله ورحمته:

ـ ثبت ذلك في «الصحيحين»[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا مقتضى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى: «إن رحمتي سبقت غضبي»[3].

ولهذا قال المؤلف: «فينشىء الله لها أقواماً، فيدخلهم الجنة».

* * *

*** قوله: «وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب»:**

* الأصناف: الأنواع.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٠).

(٢) رواه: البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٣) البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.